

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل

@ 359 @ وتقدموا وحملوا على المسلمين فصدّهم المسلمون فول الكفار هاربين مدبرين وقتل وجرح منهم ودخل الليل وبات الحرب على حاله وانتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر إلى تل الصياصية لأنه مشرف عليهم للعلو وبلغ السلطان أن الأفرنج يخرجون للاحتشاش وينتشرون في الأرض فانتدب جماعة من العربان فأغاروا عليهم وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم وأبادوهم قتلاً وقطعوا رؤسهم وأحضرها عند السلطان وذلك يوم السبت سادس عشر شهر شعبان وسر المسلمون وتباشروا هذا والقتال على عكا متصل ((نادرة)) ومن النوادر الواقعة إنه أفلت من بعض مراكب الأفرنج حصان من الخيول الموصوفة عندهم فلم يقدرها على إمساكه وما زال في البحر وهم حوله إلى أن دخل ميناء البلد فتسارع المسلمون إليه وأخذوه وأهدوه إلى السلطان فتبأشر المسلمون بالنصر ورآه الأفرنج من إمارات خذلانهم (الواقعة الكبرى) وأصبح الأفرنج يوم الأربعاء لعشرين من شعبان وقد رفعوا صلبانهم وتقدموا وزحف أبطالها وقد عبي السلطان الميمنة والميسرة وشرع يمر بالصفوف ويقوي عزم العساكر واشتد القتال واستشهد جماعة من المسلمين وول العسكر الإسلامي منهزماً فمنهم من وصل طبرية ومنهم من وصل دمشق وبقي المسلمون في شدة عظيمة حتى أدركهم الـ تعال بالنصر وهو إنه لما تمت الكسرة على المسلمين وصل جماعة من الأفرنج إلى خيمة السلطان ولم يتبعهم من يعضدهم فهابوا الوقوف هناك فأنحدروا عن التل فاستقبلهم المسلمون وتبعوهم وظفروا بهم فقتلوا منهم وضربوا رقابهم واشتد الحرب وثبت المسلمون فمالوا على ميسرة الأفرنج قفلوها ووضعوا فيهم السيوف فأبادوهم قتلاً وممن قتل مقدم عسكرهم وتبعهم المسلمون حتى كلت سيوفهم وقتل من الأفرنج خمسة آلاف فارس وقتل مقدم الراوية وحكي عنه أنه قال عرضنا في مائة ألف وعشرة آلاف ومن العجب أن الذين ثبتوا من المسلمين لم يبلغوا ألفاً فردوا مائة ألف فكان الواحد من المسلمين يقتل من الكفار ثلاثين وأربعين وأرسل السلطان بهذه النصرة البشائر إلى دمشق وعاد السلطان إلى مكانه وعزم على إنه يصالح العدو وتفقد العسكر فإذا هو قد غاب وذلك أن بعض الغلمان والأوباش لما وقعت الوقعة ظنوا أن عسكر الإسلام انهزم فنهبوا الأثقال وانهزموا وانهزم جماعة من الجند فمضى العسكر وراء الغلمان فتأخر من أجل ذلك العزم على المسير وانتعش الأفرنج لذلك وكثرت جيف الأفرنج المقتولين فشك المسلمون نتن رائحتها فرسم السلطان يحملها على العجل ورميها في النهر فحمل أكثر من خمسة آلاف جثة ثم في يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان حضرا أكابر الأمراء عند السلطان ودار الكلام بينهم في المشورة فأشاروا بالانصراف لهجوم البرد والشتاء وإن أبادانهم وخیولهم قد ضعفت وإن السلطان يرأسل البلاد

ويجمع الجموع ثم يحضر للجهاد في سبيل الله تعالى هذا والسلطان متكره من هذه المقالات وليس عنده ملل وفي كل يوم على العسكر ويقوي عزمهم فانتقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان إلى الخروبة عند الأثقال وأمر من بعكا بغلق الباب وشرع الإفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر إلى البحر وتحصنوا وتسترخوا وأقام السلطان بالخيم وهو متوعد فممن الله تعالى عليه بالعافية وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع وأقام بمماليكه فما مضى يوم إلا وفيه وقعة والمماليك طافرون بالإفرنج